اليسار والمرأة

من المؤكد ان بعضا منكم قد قرأ رواية "الأم"، حيثما تحولت الام المقموعة، بيتيا، من قبل الزوج عنيف الطباع، بفعل تأثرها بشخصية إبنها ورفاقه الى مناضلة عتيدة رغم كهولتها، وهذه القصة ليست مجرد خيال أدبي خصب لغوركي، بل ان لها أساسا واقعيا برع في تصويره في رواية خالدة تطبع باستمرار منذ مطلع القرن حتى اليوم.

ومن المؤكد انكم بغالبيتكم قد طالعتم كتاب "دومتيلا" الثورية البوليفية الامية التي غدت مناضلة نقابية فزعيمة نسوية وسياسية معروفة على نطاق عالمي بما صحب مسيرتها القاسية والعنيدة من تضحيات غير عادية.
وكلنا سمع عن استشهاد شادية ابو غزالة عضوة حركة القوميين العرب، وفيما بعد عضوة الجبهة الشعبية بينما كانت تعد عبوة متفجرة، أو استشهاد دلال المغربي التي قادت كوماندوز فدائي على شواطىء تل ابيب، أو التعذيب الوحشي الذي تعرضت له رسمية عودة وعائشة عودة في اعتقالات عام ٦٩..الخ.
هذه نماذج تعمدت استعراضها أمامكم لشد الانتباه لموضع هام، هو اليسار والمرأة، فصباح الخير، وكلكم تصغون كما ألاحظ.

في هذا اليوم اننا لا نتطرق لقضية جزئية أو هامشية، بل نتطرق لقضية مركزية تخص نصف المجتمع وتشمل بتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة المجتمع بأسره.. اذ لا يمكن تصور مجتمع معافى- نصفه غير معافى، مثلما لا يمكن تحقيق حرية وكرامة المرأة بدون تأمين الحرية والكرامة للمجتمع، شأن الاسرة بالضبط، فهل يمكن ان نتخيل مناخات تربوية ونفسية مريحة لأطفال بينما أمهم متعبة نفسيا ومضطهدة اجتماعيا؟! وهل نتخيل زوجا سعيدا في بيته بينما زوجته غير سعيدة في بيتها؟!

ونحن حينما نتعرض لقضية المرأة انما نتعرض للأم والأخت والأبنة والجدة والخالة والعمة... اي امي وامك، ابنتي وابنتك، اختي واختك.. للمرأة المناضلة والمعلمة والعاملة وأبنة الشهيد وزوجة الاسير.. عن نساء بلدنا ونساء امتنا ونساء البشرية قاطبة.. اي ليس عن روبوتات ولا عن مخلوقات وهمية أو قطعة أثاث صماء أو حفنة تراب بدون إحساس.